

مقدمة

لقد اهتم الشعراء العرب القدامى كثيرا بما يسمى «أدب الكبار» حتى إنهم لم يتركوا شيئا يرتبط بهذه الفئة إلا خاضوا فيه، وأبانوا فيه عن براعتهم وعبقريتهم، إلا أنهم -ومع الأسف- لم يولّوا عالم الأطفال نفس الاهتمام حتى بقي هذا الميدان غفلا في شعرنا العربي القديم.

وكان لا بد من انتظار شاعرنا أحمد شوقي في العصر الحديث لكي يوفي هذا الجانب حقه، إذ خص الأطفال بشعر توافرت فيه كل المقومات الفنية والموضوعية، وبذلك فتح الباب على مصراعيه أمام الكتابة الشعرية للأطفال، واعتبر بهذا الفتح الجديد من رواد شعر الأطفال في العصر الحديث¹، وتمثل حكاياته على ألسنة الحيوانات خير نموذج على ذلك.

مفهوم الحكاية لغة واصطلاحاً:

الحكاية لغة مصدر مشتق من الفعل حَكَى يحكي حكاية أو حكيا، نقول حكى الخبر بمعنى رواه ونقله إلى غيره، أما من الناحية الاصطلاحية فتحمل الكلمة ثلاث معان حسب «جيرار جينيت» فبمعنى أول -هو الأكثر بدهاءة ومركزية في الاستعمال الشائع تدل كلمة الحكاية على المنطوق السردى، أي الخطاب الشفوي أو المكتوب الذي يضطلع برؤية حدث أو سلسلة من الأحداث.

وبمعنى ثان -أقل انتشارا ولكنه شائع في الوقت الحاضر بين محلي المضمون السردى ومنظريه- تدل كلمة الحكاية على سلسلة الأحداث الحقيقية أو التخيلية التي تشكل موضوع هذه الخطبة، ومختلف علاقاتها (من تسلسل وتعارض وتكرار... إلخ) وفي هذه الحالة يعني تحليل الحكاية دراسة مجموعة من الأعمال والأوضاع المتناولة في حد ذاتها...

وبمعنى ثالث -هو الأكثر قدما في الظاهر- تدل كلمة الحكاية على حدث أيضا، غير أنه ليس البتة الحدث الذي يروي، بل هو الحدث الذي يقوم على أن شخصا يروي شيئا ما إنه فعل السرد متناولا في ذاته².

¹ انظر كتاب في أدب الأطفال، على الحديدي، مكتبة الأنجلو المصرية ط 3، 1982، ص، 224، وكتاب الشعر الحديث بين التقليد والتجديد، أحمد سليمان الأحمد، ص: 113.

² (خطاب الحكاية بحث في المنهج) جيرار جينيت، ترجمة محمد معتصم، عمر حلى، عبد الجليل الأزدي، 1996، ص: 37.

الحكاية على ألسنة الحيوانات: المفهوم والنشأة.

والحكاية على لسان الحيوانات¹ كما يعرفها الدكتور على الحديدي: «هي التي تأتي فيها الحيوانات وكأن لها طباع البشر، فتتحدث وتتصرف وإن احتفظت بخصائصها الحيوانية»².

وهي تحمل بحكم طبيعتها أبعادا خلقية وتعليمية في قالبها الأدبي الخاص، ويشترط فيها توفرها على معنى رمزي، والرمز في هذا النوع من الحكاية معناه «أن يعرض الكاتب أو الشاعر شخصيات وحوادث، على حين يريد شخصيات وحوادث أخرى عن طريق المقابلة والمناظرة، بحيث يتتبع المرء في قراءتها صور الشخصيات الظاهرة التي تكشف عن صور شخصيات أخرى تتراءى خلف هذه الشخصيات الظاهرة، وغالبا ما تحكى على لسان الحيوان أو النبات أو الجماد، ولكنها قد تُحكى كذلك على ألسنة شخصيات إنسانية تتخذ رموزا لشخصيات أخرى»³.

وحكايات الحيوانات -بحكم طبيعتها- نشأت فطرية مع بداية المجتمع البشري، حيث اقترنت في مبدأ أمرها بالفكر الأسطوري، ومن الصعب جدا أن نحدد موطنها الأصلي فقد اختلف الباحثون في هذه المسألة، فمنهم من ينسب أصلها إلى اليونان كما هو واضح في حكايات «إيسوب» «Aesop» في القرن السادس ق.م، أو عند الشاعر «هيزيودس» في القرن الثامن ق.م، ثم عند «سيتسيكوس» في القرن السادس ق.م، ومنهم من يرى أنها هندية الأصل بدليل ما نجده في كتاب «جاكاتا» من حكايات كثيرة تصور «بوذا» في صور الحيوانات والطيور وترجع بعضها إلى قرون طويلة قبل الميلاد.

ومنهم من يعزي أصلها إلى مصر استنادا إلى ورود بعض الحكايات المصرية القديمة على لسان الحيوان، ويعود تاريخها إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد⁴.

وفي اعتقادنا لا يمكن لنا الحسم برأي نهائي في هذه المسألة، على اعتبار أن موضوع القصص الحيوانية يمكن أن يظهر في كل زمان ومكان متى توافرت له الشروط المناسبة.

¹ اسمها في اللاتينية "Fabula" وتعني الحكاية أو الخرافة، وأصبحت هذه الكلمة اللاتينية في اللغة الفرنسية والإنجليزية "Fable"، وفي اليونانية تسمى "Apologos" أي حكاية ذات عبرة خلقية واسمها الديني المسيحي حسب الإنجيل "Parabola" وهي كلمة ذات مسحة دينية تعني المقارنة، وفي العربية يسمها صاحب الفهرست ومن حذا حذوه الخرافة (أنظر كتاب (الأدب المقارن) للدكتور محمد غنيمي هلال ص: 177)

² (في أدب الأطفال) د. على الحديدي، مكتبة الانجلو مصرية، ط: 3، 1982، ص: 162.

³ (الأدب المقارن)، د. محمد غنيمي هلال، ص: 178.

⁴ انظر المرجع السابق، ص: 172، وكتاب "في أدب الأطفال" للدكتور على الحديدي، ص: 162.

القصص الحيواني في الأدب العربي.

وفي أدبنا العربي القديم، ظهر هذا اللون من الأدب مع عبد الله بن المقفع في العصر العباسي في كتابه «كليلة ودمنة» الذي كان قد ترجمه إلى اللغة العربية من اللغة الهلوية، وذلك حوالي منتصف القرن الثامن الميلادي.

وقد كان لظهور هذا الكتاب المترجم أثر كبير في الأدب العباسي حيث نسج عدد من الأدباء على منواله: كسهل بن هارون في كتابه «ثعلبة والعفراء» وعلي بن داود في كتابه «النمر والثعلب» والشريف بن الهبارية في كتابه «الصادح والباغم» ومحمد بن أحمد بن ظفر في مؤلفه «سلوان المطاع في عدوان الطباع» غير أنه لم يصلنا من هذه الكتب شي¹.

كما عمدت مجموعة من الشعراء إلى صياغة كتاب «كليلة ودمنة» شعرا من أبرزهم سهل بن نوبخت، وأبان بن عبد الحميد اللاهقي، ثم توالى هذه الترجمات الشعرية في العصور اللاحقة، وكان من أشهرها منظومة «نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة» لابن الهبارية².

وبهذه الترجمات يبقى كتاب «كليلة ودمنة» مدينا للعرب إذ حافظوا عليه بعد ضياع أصله الفارسي والهندي وأضافوا إليه ونقلوه إلى باقي لغات العالم حيث أعيد ترجمته إلى الفارسية ثانية ثم إلى الفرنسية ليتأثر به «لافونتين» الفرنسي الذي انتهى إليه من ضمن ما انتهى إليه من التراث العربي في هذا الجنس³.

واستطاع أن يرتقي به فنيا حيث أضفى عليه لمسات فنية جديدة⁴ مما جعل عددا من شعرائنا المحدثين يتأثرون بحكاياته.

شعر الحكاية على ألسنة الحيوانات عند شوقي وتجربة الكتابة الشعرية للأطفال

ليس من شك في أن شوقي يعتبر أول من أدخل هذا النوع من الشعر إلى أدبنا العربي الحديث بصورته الفنية الغربية، يقول محمود علي مكي في هذا الخصوص: «...ولكن الجدير بالتسجيل هو أن شوقي حينما فعل ذلك (أي حينما أعاد الحياة إلى هذا اللون الأدبي) لم يلتمس الأصول العربية لهذا الفن، بل كان تأثره فيه بلافونتين، وعلى كل حال فإن هذا لا يهون من جهد شوقي ولا

¹ (مروج الذهب): المسعودي، (أبو الحسن علي بن الحسين)، طبعة باريس، 187م، ج 1، ص: 159.

² أنظر دراسة الباحثة ليلى حسن سعد الدين "كليلة ودمنة في الأدب العربي" طبعة عمان وبدون تاريخ، ص: 287-294.

³ الأدب المقارن: د. محمد غنيمي هلال، ص: 186.

⁴ م.ن. ص: 186-187.

ينتقص منه، فحكاياته عن الحيوان والطيور كانت من أجود ما نظم، وشعره فيها رفيع المستوى وليس مجرد نظم تعليمي مثل نظم أبان بن عبد الحميد اللاحقي وابن الهبارية. وقد فتح شوقي بصنيعة هذا الباب أمام الشعر القصصي والأدب الذي يستهدف تربية الأطفال، صحيح أن شوقي لم يكن أول من ترجم عن لافونتين فقد سبقه إلى ذلك قبله محمد عثمان جلال (...) ولكن شتان بين لغة شوقي الفصيحة المحكمة ولغة عثمان جلال التي يغلب عليها الطابع العامي»¹.

وبذلك تعد حكاياته على لسان الحيوان لونا آخر من ألوان التجديد عند شوقي وذلك على الرغم من كونها مستوحاة من آداب الغرب²، وقد صرح شوقي -نفسه في مقدمته لشوقياته- أنه بدأ في نظم هذه الحكايات وهو طالب بالديار الباريسية بين سنتي 1892-1893، كما اعترف أيضا أنه جارى في هذا الفن أسلوب «لافونتين» في حكاياته حيث يقول: «وجربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين الشهير، وفي المجموعة شيء من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث، أجتمع بأحداث المصريين، وأقرأ عليهم شيئا منها، فيفهمونه لأول وهلة، ويأنسونه إليه ويضحكون من أكثره. وأنا أستبشر لذلك، وأتمنى لو وفقني الله لأجعل الأطفال المصريين -مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتعدنة منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم»³.

وبالإضافة إلى ذلك، يعلن شوقي في هذه القولة أنه سيتوجه بحكاياته إلى الأطفال، وكأنه لاحظ نقصا في الأدب العربي في هذا الباب فحاول سده.

وبصرف النظر عن هذا السبب الذي شجع شوقي على خوض هذه التجربة الجديدة تجربة أدب الأطفال، كانت هناك ظروف أخرى وجهته إلى هذا النوع من الكتابة تتلخص أساسا في تأزم أوضاع بلاده سياسيا واجتماعيا وأخلاقيا مما حتم على الشاعر القيام بدوره في التنبيه إلى خطورة هذه الأوضاع، والدعوة إلى إصلاحها...

وبعد هذا المدخل النظري، سنتقل إلى مقاربة حكايات شوقي من الداخل وذلك على المستوى المضموني.

¹ (الأندلس في شعر شوقي ونثره)، محمود على مكي، مجله فصول، ع1، السفينة 1982، ج 1، ص: 204.

² أحمد شوقي أمير الشعراء دراسة ونصوص، فوزي عطوي، ص: 125.

³ أنظر مقدمة الشوقيات في كتاب (شوقي شاعر العصر الحديث) للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ص: 84-85-86.

1. المقاربة المضمونية لحكايات شوقي.

لقد ألمعنا في مستهل هذا البحث إلى أن تجديد شوقي قد انبنى أساسا على إحياء الشعر العربي القديم، وبعث ديباجته المشرقة في عصوره الذهبية، غير أن عودته هذه إلى الماضي لم تنسه الالتفات إلى قضايا عصره، حيث انخرط بشعره فيها أيما انخراط سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

وبذلك تحققت لشعره صفة «العصرية» والتجديد أقول ذلك لأن الشعر قبله كان قد نأى قليلا عن الواقع ليتوقع في دائرة الشكلية اللفظية التي وصلت حد التلاعب¹.

وحكايات شوقي على لسان الحيوان تعد بحق خير مثال على اندماج شعره في واقع الناس حيث وضعها أصلا لتشخيص راهنيتها، ولهذا كان من الطبيعي أن تحمل حكاياته كثيرا من التوجهات الأخلاقية والاجتماعية والسياسية التي تنبع صافية من ينباع حكمه التي غالبا ما تجري في خواتمها، مما يستوجب علينا دراسة هذه «التيمة» أي «تيمة» الحكمة في حكاياته...

1.1- تيمة الحكمة في حكايات شوقي:

الحكمة هي «الكلام الموجز البليغ الذي يحوي عظة نافعة وعلما مفيدا، وقد تشتهر فتكون مثلا سيارا»².

وقد ارتبطت بالشعر منذ القدم، بوصفها نتاج تجارب الشاعر في الحياة، وبعد نظره ومعرفته الصائبة بالأمور.

ومن الطبيعي أن تخضع لمجموعة من التطورات منذ العصر الجاهلي إلى عصر النهضة، وذلك تبعا للتحويلات الاجتماعية والسياسية والدينية من عصر إلى آخر.

ففي العصر الجاهلي، كانت الحكمة عبارة عن ملاحظات صادرة عن تجارب شخصية تقرر واقعا عاديا يعيشه الشاعر في تلك الفترة، ولما كانت الحكمة الجاهلية عصرئذ موافقة مع تعاليم الأنبياء، فقد اقترنت بالنبوة³، وفي العصر الإسلامي تحولت لتكون صدى لتعاليم الإسلام السمحة مما ساهم في إثراء المخزون الحكمي لدى شعراء هذا العصر وتقويم مساره وتصويبه، وفي العصر

¹ الشعر المصري بعد شوقي د. محمد مندور، دار نهضة مصر، ص: 3.

² المتنبي وشوقي وإمارة الشعر: دراسة ونقد وموازنة، عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط: 3، ص: 353.

³ أنظر كتاب "الزينة" لأبي حاتم الرازي، القاهرة، 1956م، 44/1، وكتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه القاهرة 1973،

271/5، و"منهاج البلغاء وسراج الأدباء" لحازم القرطاجني، تونس 1972، ص: 124.

العباسي، لما كان عصر ازدهار العلوم العقلية والفلسفية وتنوع الأفكار والثقافات فقد ازدهر شعر الحكمة حيث أصبح نتاج التفاعل بين العلوم والفلسفات المختلفة.

وفي العصر الحديث، ونظرا لأهمية الحكمة في الشعر تم إحياء النموذج الأصلي للشاعر الحكيم مع تعديله بما يتلاءم وخصوصية العصر، وذلك على أيدي شعراء الإحياء وفي مقدمتهم أحمد شوقي هذا الشاعر الذي أحب الحكمة منذ صباه، ورافقه هذا الحب فيما يستقبل من حياته الأدبية، ولهذا لا غرو إذا رأيناه يكثر منها في شعره حتى لا تكاد تخلو قصيدة له من حكمة ومثل بل حكم وأمثال. وعيا منه بأهميتها في اكتمال النص الشعري، ودورها في الإصلاح والتغيير، يقول شوقي موضحا علاقة الشعر بالحكمة: «و لا يزال الشعر عاطلا حتى تزينه الحكمة ولا تزال الحكمة شاردة حتى يؤوبها بيت من الشعر»¹.

والشعر عند أحمد شوقي حكمة وعاطفة، وفي هذا المعنى يقول:

وَالشَّعْرُ مَا لَمْ يَكُنْ ذِكْرَى وَعَاطِفَةً *** أَوْ حِكْمَةً فَهُوَ تَقْطِيعٌ وَأَوْزَانٌ²

وبذلك تعتبر الحكمة من أبرز خصائص الأسلوب في الشوقيات، وهو يفخر بهذه المزية ويخص نفسه بدولة الشعر من جرائها.

لِي دَوْلَةُ الشَّعْرِ دُونَ الْعَصْرِ وَإِلَّةٌ *** مَفَاخِرِي حِكْمِي فِيهَا وَأَمْثَالِي³

ولعل أكثر ما تشيع حكمه في حكاياته على ألسنة الحيوانات، حيث تبلغ جملة أبياتها 60 بيتا من أصل 1431 بيت حكمة، بنسبة الثمن من كامل الأبيات وعددها 11320 بيت⁴، وهو ما يمثل معدل حكمة واحدة على الأقل في كل حكاية، وهي في الغالب تعبير عن قيم أخلاقية واجتماعية وسياسية، وستقوم بجرد لأبياته الحكمية مع توضيح دلالاتها مستعينا بالجدول الآتي:

¹ (أسواق الذهب) أحمد شوقي، القاهرة، 1970، ص: 134.

² الشوقيات 103/2.

³ الشوقيات المجلد 2 ج3، ص: 121.

⁴ لقد اعتمدنا على الدراسة الإحصائية التي قام بها الأستاذ محمد الهادي الطرابلسي، لأبيات الحكمة في الشوقيات في كتاب "خصائص الأسلوب في الشوقيات" منشورات الجامعة التونسية 1981.

عنوان الحكاية	الحكمة	دلالاته ومغزاه
الصيد والعصفورة ص: 93/الجزء 4	إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِالرُّهَادِ كَمْ تَحْتَ ثَوْبِ الرُّهْدِ مِنْ صَيِّدِ	الحذر من الاعتزاز بالمظاهر
البلابل التي رباها اليوم ص: 94.	بِلاِبِلُ اللَّهِ لَمْ تَخْرُسْ وَلَا وُلِدَتْ خُرْسًا وَلَكِنَّ بَوْمَ الشُّومِ رَبَّاهَا	تأثير الظالم المتعسف في إسكات أهل العلم والزعماء الوطنيين عن قول الحق
الديك الهندي والدجاج البلدي ص: 95، ج 4.	مَتَى مَلَكَتُمْ ألسُنَ الأربَابِ قَدْ كَانَ هَذَا قَبْلَ فَتْحِ البَابِ!	خبث الاستعمار وحيله في الاستيلاء على ما يملكه الآخرون
العصفور والغدير المهجور ص: 96، ج 4	إِنْ خَفِيَ النَّافِعُ فَالنَّفْعُ ظَهَرَ بِأَسْعَدَ مَنْ صَافَى وَصُوفِي وَاسْتَتَرَ!	ليست العبرة في اشتهار النافع بل في ظهور نفعه، وتجنب كل رياء...
الأفعى النيلية والعقربة الهندية ص: 97، ج 4.	مَنْ مَلَكَ الحَصْمَ وَنَامَ عَنْهُ يُصْبِحُ يَلْقَى مَا لَاقَيْتَ مِنْهُ	الحذر من الوقوع في فخاخ الخصوم والأعداء
السلوقي والجواد ص: 98، ج 4	مَا الرَّجُلُ إِلَّا حَيْثُ كَانَ الهَوَى إِنَّ البُطُونَ قَادِرَاتٌ شِدَادُ أَمَا تَرَى الطَّيْرَ عَلَى ضَعْفِهَا تَطْوِي إِلَى الحَبِّ مَنَاتِ البِلَادِ؟	شدة صبر الإنسان في تحمل المشاق من أجل الارتزاق
فأر الغيظ وفأر البيت ج 4/99، 100.	فَنَاحَتْ الأُمُّ وَصَاحَتْ وَهَاهَا! إِنَّ المَعَالِي قَتَلَتْ فَتَاهَا	السعي إلى المعالي قد يفضي بصاحبه إلى الهلاك
الضبي والعقد والخنزير 102/4	لَا عَجَبٌ، إِنَّ السِّينِينَ مَوْقِفَهُ حَفِظَتْ عُمَرًا لَوْ حَفِظَتْ مَوْعِظَهُ	آفة العناد والاستهتار بالإرشاد
ولي عهد الأسد وخطبة الحمار 103/4	لَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ قَرَارًا عَاشَ جِمَارًا وَمَضَى جِمَارًا!	آفة الطيش والغرور
الأسد والثعلب والعجل 104/4	سَلِمَ الثَّلَعْبُ بِالرَّأْسِ الصَّغِيرِ فَقَدَاهُ كُلُّ ذِي رَأْسٍ كَبِيرٍ!	الغفلة وسوء التقدير
القرود والفيل 105/4	مَنْ كَانَ فِي عَيْنَيْهِ هَذَا الدَّاءُ فِي العَيِّ لِنَفْسِهِ وَقَاءُ	آفة المتدخل فيما لا يعنيه

عنوان الحكاية	الحكمة	دلالتة ومغزاه
القبرة وابنها 118/4	ولو تأني نال ما تَمَّيَّ وعاش طولَ العُمر مُهَنَّا لكل شيءٍ وقتُه وغايةُ المُستعجِلين فَوُئِه!	في التأني السلامة وفي العجلة الندامة
النعجان 119/4	لكل حالٍ حُلُومها ومُرُها ما أدبُ التَّعجِبةِ إلا صبرُها	لكل حال حلوها ومرها وليس على الإنسان إلا الصبر
السفينة والحيوانات 120/4	عادُوا إلى ما تَقْتَضِيهِ الشَّيْمَةُ ورجَعُوا لِلحَالَةِ القَدِيمَةِ فقسْ على ذلك أحوالَ البَشَرِ إن شملَ المحذورُ أو عمَّ الخَطَرُ بيننا ترى العالمَ في جِهَادٍ إذ كُلُّهم على الزَّمانِ العَادِي	حين يعم الخطر بالناس تراهم متضامنين متعاونين، ولكن لمجرد أن يزول هذا الخطر يعودون إلى عاداتهم القديمة
القرد في السفينة 4/121	من كانَ مَمْنُوءًا بِداءِ الكذِبِ لا يتركُ اللهُ ولا يُعْفَى نَبِي!	من كثر كذبه اتهم في صدقه
نوح عليه السلام والنحلة في السفينة 122/4	ويودُّ لو ساسَ الزَّمانَ ومالُه بأقلِّ أشغالِ الزَّمانِ يَدانِ	العبرة في الفعل وليس في القول
الدب في السفينة 123/4	ما كانَ ضَرَبِي لو اُمْتثلتُ ومثلما قد فَعَلُوا فَعَلتُ	سوء الظن مرتعه وخيم
الثعلب في السفينة 124/4	ومن تخافُ أن يبيِعَ دينَه تكفيلُك منه صُحْبَةُ السَّفِينَةِ	الحيطة والحذر من كل محتال يبيع دينه في سبيل مآربه الشخصية

عنوان الحكاية	الحكمة	دلالاته ومغزاه
الليث والذئب في السفينة 125/4	أجابهُ: إن كان طَيِّ صادقًا فإنِّي والي الوُلاةِ سابقًا!	في حالة الشدة يعد الإنسان بأشياء لا يفي بها في ساعة الرخاء
الثعلب والأرنب في السفينة 126/4	فقال: لما انقطعَ الحديثُ: قد كان ذاك الزُّهدُ يا حَبِيبُ وأنتَ بينَ الموتِ والحياةِ من تُخمةِ أَلْقَتِكَ في الفلاةِ!	قد يزهّد الإنسان في شيء ليس لاتقاء الله فيه، وإنما لعجزه عن الوصول إليه فيبرر ذلك بأمور أخرى ...
الأرنب وبنّت عرس في السفينة 127/4	مالي وُثوقٌ ببناتِ عرْسِ إنِّي أريدُ دايةً من جنّبي!	فضيلة سوء الظن بالعدو
الحمار في السفينة 127/4	قالتُ خُدوهُ كما أتاني سَالمًا لم أبتلعهُ لأنّه لا يُهضمُّ!	للتسلية والفكاهة والإحالة على ما يتميز به هذا الحيوان من ضخامة وبلادة...
سليمان عليه السلام والحمامة 128 4	لكنّ كفاك عُقوبَةً من خانَ خانتهِ الكرامةُ!	من ضيع الأمانة ضيع خيرا كثيرا
الأسد والضعفد 129/4	إنفعَ بما أعطيتَ من قُدرةِ واشفعُ لذي الذنبِ لدى المَجْمَعِ إذ كيفَ تسمو للعلّيا يا فتى إن أنتَ لم تنفعَ ولم تَشْفَعِ؟	مزية استثمار الإنسان لا مكاناته في مساعدة الآخرين ونفعهم...
النملة الزاهدة 130/4	سعيُ الفتى في عَيْشهِ عِبادةُ وقائدٌ يهديهِ للسَّعادةُ لأنّ بالسَّعيِ يقومُ الكَوْنُ واللهُ للسَّاعينَ نِعَمَ العَوْنُ	العمل عبادة ومصدر سعادة الإنسان وأساس الكون....

عنوان الحكاية	الحكمة	دلالاته ومغزاه
اليمامة والصيد 131/4	تقول قول عارِفٍ مُحَقِّقٍ ملكْتُ نفسي لَوْ ملكْتُ مَنْطِقِي	من صمت نجا أو «مقتل المرء بين فكيه»
الكلب والحمامة 131/4	هذا هو المعروفُ يا أَهْلَ الفِطْنِ النَّاسُ بالنَّاسِ ومن يُعِنُّ يُعَنُّ!	جزاء الإحسان الإحسان
الكلب والبيغاء 132/4	ومالها عندي من ثأرٍ بعد غير الذي سمَّوه قِدْمًا بالحَسَدُ	عدم الانخداع بثناء محتال حسود
الحمار والجمل 133/4	فقالَ سرُّ والرَّمْ أخالِكَ الوتدا فإنَّما خُلِقْتَ كي تُقَيِّدا	عدم الاستسلام لذل العبودية
دودة القز والدودة الوضاء	إن كانَ فيكَ ضياءٌ * إنَّ الثناءَ ضيائي وإنه لضيءٌ * مُؤَيَّدٌ بالبقاءِ	العبرة في المخبر وليس في المظهر
الجمل والثعلب 134/4	ليس بجملٍ ما يملُّ الظهرُ ما الجِملُ إلا ما يُعاني الصَدْرُ	الحمل ما يعاني الصدر وليس ما يحمل الظهر
الثعلب الذي انخدع 136/4	فلا تثقُ يوماً بذي حيلةٍ إذ رُبَّما ينخدعُ الثَّعلبُ	كما تخدع تخدع
البغل والجواد 136/4	لم أرَ قَصَّ البِغْلِ تحتَ الغَازي لكن سمعتُ نقرَةَ المِهْمَازِ!	للتسلية والفكاهة وتقبيح الغرور

عنوان الحكاية	الحكمة	دلالاته ومغزاه
الفأرة والقطعة 137/4	وأشرفْتُ تقولُ للسَّفيهِ ... إنْ متُّ بعد ابني فمن يبكيه؟!	آفة تمني السوء
الخروف والغزال 138/4	وقالَ للثَّيسِ انْطَلِقْ لِشَأْنِكَ مَا قَتَلَ الْخَصْمَيْنِ غَيْرُ دَقِّكَ	عدم الاعتزاز بالمظاهر التي لا تعبّر عن الحقيقة.
الثعلب والأرنب والديك 139/4	ما كلُّنا ينفعُهُ لسانُهُ في النَّاسِ من يُنطقُهُ مكانُهُ!	قد يغلب الإنسان بالمكان لا بالإمكان
الثعلب وأم الذئب 139/4	ليته مثل أخيه ماتَ محسوداً بتُخْمَةٍ!	للتسلية والفكاهة «بعض الشر أهون من بعض»
سليمان عليه السلام والحمامة 128 4	لكنْ كفاك عُقوبَةً من خانَ خانتهُ الكرامَةُ!	من ضيع الأمانة ضيع خيرا كثيرا
الأسد والضعف 129/4	إنْفَعْ بما أعطيتَ من قُدْرَةٍ واشفعْ لذي الذنبِ لدى المَجْمَعِ إذ كيفَ تسمو للعلّيا فتى إن أنتَ لم تنفعْ ولم تَشْفَعْ؟	مزية استثمار الإنسان لا مكاناته في مساعدة الآخرين ونفعهم...
النملة الزاهدة 130/4	سعيُ الفتى في عَيْشِهِ عِبَادَةٌ وقائدٌ يهديهِ للسَّعَادَةِ لأنَّ بالسَّعيِ يقومُ الكونُ واللهُ للسَّاعينَ نِعَمَ العونِ	العمل عبادة ومصدر سعادة الإنسان وأساس الكون....
اليمامة والصيد 131/4	تقول قول عارفٍ مُحَقِّقٍ ملكْتُ نفسي لو ملكْتُ منطِقي	من صمت نجا أو «مقتل المرء بين فكيه»

عنوان الحكاية	الحكمة	دلالاته ومغزاه
الكلب والحمامة 131/4	هذا هو المعروفُ يا أَهْلَ الفِطْنِ النَّاسُ بالنَّاسِ ومن يُعِنُّ يُعَنُّ!	جزاء الإحسان الإحسان
الكلب والببغاء 132/4	ومالها عندي من ثأرٍ بعد غير الذي سمَّوه قِدْمًا بالحَسَدُ	عدم الانخداع بثناء محتال حسود
الحمار والجمال 133/4	فقالَ سزوالِزَمَ أَخَالَكَ الوِتْدَا فإنَّما خُلِقْتَ كي تُقَيِّدا	عدم الاستسلام لذل العبودية
دودة القز والدودة الوضاء	إن كانَ فيكَ ضيَاءٌ * إنَّ الثناءَ ضيائي وإنه لضيَاءٌ * مُؤَيِّدٌ بالبقاء	العبرة في المخبر وليس في المظهر
الجمال والثعلب 134/4	ليس بجَمَلٍ ما يَمَلُّ الظهْرُ ما الجَمَلُ إلا ما يُعاني الصَدْرُ	الحمل ما يعاني الصدر وليس ما يحمل الظهر
الثعلب الذي انخدع 136/4	فلا تثقُ يومًا بذي حيلةٍ إذ رَمَّا ينخدعُ الثَّعلبُ	كما تخدع تخدع
البغل والجواد 136/4	لم أَرَقِصَ البِغْلُ تحتَ الغَازي لكنُ سمعتُ نقرَةَ المِهْمَازِ!	للتسلية والفكاهة وتقبيح الغرور
الفأرة والقطعة 137/4	وأشرفْتُ تقولُ للسَّفِيهِ ... إن متُّ بعد ابني فمن يبكيه!؟	آفة تمنى السوء

عنوان الحكاية	الحكمة	دلالاته ومعزاه
الخروف والغزال 138/4	وقال للتيس انطلق لشأنك ما قتل الخصميين غير ذقنا	عدم الاعتزاز بالمظاهر التي لا تعبر عن الحقيقة.
الثعلب والأرنب والديك 139/4	ما كلنا ينفعه لسانه في الناس من ينطقه مكانه!	قد يغلب الإنسان بالمكان لا بالإمكان
الثعلب وأم الذئب 139/4	ليته مثل أخيه مات محسوداً بثخمة!	للتسلية والفكاهة «بعض الشر أهون من بعض»

2.1- البعد الأخلاقي والاجتماعي والسياسي في حكم شوقي:

من الملاحظات الأساسية التي يمكن تسجيلها على معطيات هذا الجدول أن حكم شوقي يمكن تصنيفها إلى أخلاقية واجتماعية وسياسية...

وأن أعلى نسبة من حكم شوقي تتمحور حول تيمة «الغدر» حيث يبلغ مجموعها 7 حكم من أصل 51 حكاية وهو ما يمثل نسبة 13%.

ويمثل الثعلب أكثر الحيوانات اتصافاً بالغدر في حكاياته، ولقد رمز الشاعر عموماً بغدر الحيوانات إلى خبث الاستعمار وحيله في الاستيلاء على ما يملكه الآخرون¹، ولذلك كان هدف شوقي من حكمه تلك تحذير أبناء وطنه من الوقوع في فخاخ العدو المحتال وعدم الانخداع بمظاهره الكذابة التي لا تعبر عن واقع الأمر: «من حفظ الأعداء ضاعاً» «مخطئ من ظن يوماً أن للثعلب ديناً» «إياك أن تغتر بالزهاد» ف«كم تحت ثوب الزهد من صياد» «فلا تثق يوماً بذئ حيلة إذ ربما ينخدع الثعلب» «ما قتل الخصميين غير ذقنا».

وإذا علمنا أن الثعلب يعتبر أكثر الحيوانات حضوراً في كتابات شوقي، وهو رمز المستعمر أدركنا أن هذا الأخير -أي المستعمر- يشكل الخلفية المركزية التي تحرك حكايته، ذلك أن كثيراً من هذه الحكايات ترمز إلى المستعمر بطريقة أو بأخرى «فقد راعى أمير الشعراء في هذه الأمثال ما

¹ مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصرة، د. محمود شوكت، د. رجاء عيد، دار الفكر العربي، ص: 139.

تعاني مصر من حيف المستعمرين وادعاءاتهم الكاذبة¹، ومما يدل على ذلك أن شوقي كان ينشر حكاياته بأسماء مستعارة وبإمضاء «نحي الخرس» دونما إشارة إلى مصدر الشعر أو إلى قائله من ذلك حكايته «الدجاج الهندي والدجاج البلدي» وحكايته «الثعلب والديك»² وواضح أن شوقي كان يفعل ذلك اتقاء لشر المستعمر...

وإلى جنب تيمة الغدر تتكرر في حكايات شوقي أيضا تيمة «الغرور» كما هو الحال في حكاياته «الخفاش ومليكة الفراش» و«الغصن والخنفساء» و«سليمان والطاووس» و«دودة القز والدودة الوضاء» و«ولي عهد الأسد وخطبة الحمار» و«فأر الغيط وفأر البيت» ولقد ركز شوقي على هذه «التيمة» لما ينجم عنها من انعكاسات سلبية فالغرور يورث صاحبه الملامة/ يقول شوقي على لسان الخفاش وهو يحذر مليكة الفراش من مغبة الغرور:

إِنَّ مِنَ الْغُرُورِ *** مَلَامَةٌ الْمَغْرُورِ
فَأَعْطِنِي قَفَاكَ *** وَامْضِي إِلَى الْهَلَاكِ³

كما أنه يفضي بالإنسان إلى الهلاك، كما حدث للحمار في حكاية ولي عهد الأسد وخطبة الحمار حيث حشر أنفه بين الحيوانات المفترسة فقدمته هدية لغذاء الأسد وفيه يقول:

لَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ قَرَارًا *** عَاشَ حَمَارًا وَمَضَى حَمَارًا⁴

وكما وقع أيضا لذلك الفأر الذي قاده غروره وتطلعه إلى المعالي إلى التهلكة حيث يقول شوقي على لسان أم الفأر وهي تنوح عليه:

فَنَاحَتْ الْأُمُّ وَصَاحَتْ وَاهَا! *** إِنَّ الْمَعَالِي قَتَلَتْ قَتَاهَا⁵.

كما أن الغرور يعكس حالة النقص التي يعيشها المغرور ويحاول أن يغطيها بالادعاءات الكاذبة، حتى إذا أزفت ساعة الجد بان ضعفه وعجزه، كما هو الشأن في حكاية أنت وأنا حيث

¹ أحمد شوقي: أمير الشعراء ونغم اللحن والغناء، د. عبد المجيد الحر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، 1413هـ/ 1992م، ص: 178.

² الشوقيات الجوهرة، د. محمد صبري، دار المسيرة، بيروت، 1903 م ج 1، ص: 13-14.

³ الشوقيات ج 4، ص: 109.

⁴ م.س. ج 4، ص: 103.

⁵ م.س. ج 4، ص: 100.

استطاع صبي صغير الجسم أن يهزم رجلا ضخماً يدعي القوة والغلبة¹، وربما رمز شوقي بهذا الرجل الضخم الفارغ إلى المستعمر الذي يتجح بقوته وجبروته بينما هو غير ذلك في ساعة الجد والامتحان.

والمغرور من أماراته أنه يتباهى بأمور تافهة زائلة غير ذات جدوى متعامياً عن المفاخر الحقيقية، ففي حكاية دودة القز والدودة الوضاء نجد أن دودة القز تنعى على الدودة الوضاء تشدقها بنورها، وتؤكد لها أن النور الحقيقي الذي ينبغي أن تفخر به إنما هو الثناء بوصفها الضياء الأثير لأنه موسوم بالخلود حيث تقول لها:

إن كان فيك ضياءٌ *** إن الثناء ضيائي

وإنه لضيءٌ *** مؤيد بالبقاء²

وإذا كان الغرور بهذه التبعات الوخيمة، فإنه لا يحق لأي إنسان أن يدعي ويفتخر بأنه الأفضل مادام في العالم أم تلد على حد قول شوقي على لسان الخنفساء، في حكايته الغصن والخنفساء وهي تنهى الغصن المعجب بقامته عن الغرور...³

ويتوخى شوقي من حكاياته حول الغرور -بطبيعة الحال- تحذير الناس من هذه الآفة الخبيثة، ومن غير المستبعد أن يكون قد رمز بغرور الحيوانات إلى غرور المستعمر الذي عاث في وطنه كبراً وفساداً.

وتتردد أيضاً «تيممة» الطمع في حكاياته مثل «سليمان والطاووس» و«الضبي والعقد والخنزير» و«فأر الغيط وفأر البيت».

وينبهنا شوقي إلى خطر الطمع، وينصحنا بالاعتناع بما قسمه الله لنا، فالطمع يقود صاحبه إلى الضلال يقول شوقي على لسان الضبي بعد انجلاء غيّه:

ما آفة السعي سوى الضلال *** ما آفة العمر سوى الآمال⁴

والطامع على الرغم مما أعطاه الله من محاسن، فهو لا يرضى بذلك بل إنه يتطلع إلى ما ليس له معانداً مكابراً مستهتراً بأي إرشاد، فيفتي عمره في آمال غير ممكنة مما لا يجر عليه إلا المشاكل

¹ أنظر هذه الحكاية في المجلد الثاني ج 4، ص: 89

² الشوقيات، المجلد 2، ج 4، ص: 134.

³ الشوقيات، المجلد 2، ج 4، ص: 118.

⁵ م.س. م، 2، 102/4.

والعواقب الوخيمة، كما هو الحال في قصة «الضبي والعقد والخزير» حيث عائد الضبي المواعظ وأصر على وضع عقد لؤلؤ في جيده، وعندما يئس وأعياه البحث قال له الماء:

لا عجبُ إنَّ السنينَ مَوْقِظَةٌ *** حَفِظْتَ عُمراً لو حَفِظْتَ مَوْعِظَةً¹

ثم إن الطامع مغرور نراه يزدهي بما أعطاه الله له من مزايا، وعوض أن يقنع بها يطلب المزيد، وبهذا فهو يجحد نعم الله عليه ويصغرها بكفره هذا، يقول شوقي على لسان سيدنا سليمان عليه السلام وهو يلوم طاووسا على كفره وغروره:

لقد صَغَّرْتَ يا مَغْرُورٌ *** رُ نُعَى الله كُفْرَانًا²

والطمع غالبا ما يسلم صاحبه إلى الهلاك، كما وقع لذلك الفأر في حكاية «فأر الغيط وفأر البيت» حيث لم يكتف بما أعطاه الله من رزق، بل راح يطلب المزيد في تيه وغرور، فيسرق البيوت غير مبال بنصائح أمه إلى أن قبض عليه وقضى عليه بل قضى عليه طمعه وتطلعه الزائد إلى المعالي وهذا ما أكدته أمه وهي تنوح عليه قائلة:

فناحَتِ الأمُّ وصاحتُ واهَا! *** إنَّ المعالي قَتَلَتْ قَتَاها³

ويستمر شوقي في عرض القيم الأخلاقية والاجتماعية، فيتطرق إلى قيمة العمل في حكايتيه «النملة الزاهدة» و«السلوقي والجواد» ففي الحكاية الأولى يحثنا على العمل وينبهنا إلى أهميته حيث يعتبره بمنزلة العبادة، وقائد الإنسان إلى السعادة به يقوم الكون، وصاحبه يحظى بتأييد الله سبحانه وتعالى يقول شوقي في هذا الخصوص:

سَعَى القَتَى في عيشه عِبَادَةٌ *** وقائدٌ يهديه للسَّعَادَةَ

لأنَّ بالسَّعَى يقومُ الكَوْنُ *** واللهُ للسَّاعِينَ نَعَمَ العَوْنُ⁴

وليس للإنسان أن يقعد عن العمل بدعوى التفرغ إلى العبادة، حتى إذا حل به الجوع راح يستجدي الناس إلحافا، فيرد على أعقابه مدلولا يجر أذيال السببة والعار.

¹ الشوقيات، المجلد 2، ج 4، ص: 102.

² م.س. م. 2، 117/4.

³ م.س. م. 2، 100/4.

⁴ م.س. م. 2، 130/4.

صحيح أن العبادة تغذي الجانب الروحي في الإنسان، ولكنها -على حد قول شوقي- لا تملأ البطن لأن الذي يملأ البطن إنما هو العمل، وبدونه لا يقوى هذا الإنسان الزاهد على ممارسة عباداته على أكمل وجه، فالعامل أفضل من الذي ينعزل عن الناس ولا يشتغل، ويضرب شوقي مثلاً على ذلك: تلك النملة في حكاية «النملة الزاهدة» التي اشتهرت وسط مجتمع النمل بزهداها وتصوفها، ولكنها لا تعمل حتى إذا مسها الطوى راحت تسأل النمل القوت والطعام فتصدها وتستنكر عليها وتعيب عليها خروجها عما هو معهود في جماعة النمل من علو الهمة والصبر والعمل الدؤوب، وقد تعمد شوقي هذه المخالفة للمألوف في حديثه عن النملة ليرمز وجود النقيضين: الخَيْرَ والشَّرَّيرَ في الجنس الواحد من المخلوقات¹:

يقول شوقي على لسان النمل:

فصاحتِ الجاراتُ يا للعارِ *** لم تتركِ النملة للصرصرارِ!
متى رضينا مثلَ هذي الحالِ؟ *** متى مددنا كَفْنَا للسُّؤالِ!
ونحنُ في عين الوجودِ أمَّه *** ذاتُ اشتهارٍ بعُلوِّ الهمةِ
نحملُ ما لا يصبرُ الجمالُ *** عن بعضه لو أنها نَمالُ
ألم يقلُ من قوله الصَّوابُ: *** ما عندنا لسائلٍ جَوابُ!
فأمضي فإننا يا عجوزَ الشُّومِ *** نرى كَمالَ الرُّهدِ أن تصومي²

وفي الحكاية الثانية يدعونا شوقي إلى الصبر وتحمل المشاق من أجل كسب لقمة العيش، ويضرب مثلاً على ذلك بالطير وكيف أنه يقطع المسافات الطوال في سبيل البحث عن القوت له ولصغاره فهي تغدو خماسا وتعود بطانا، يقول شوقي على لسان الجواد وهو يرد على السلوقي الذي يلومه على عدم صبره:

فقال مهلاً يا كبيرَ النُّهى *** ما هكذا أنظارُ أهلِ الرِّشادِ
السُّرِّ في الطَّيرِ وفي الوحشِ لا *** في عَظْمِ سيقانِكَ يا ذا السِّدادِ
ما الرجلُ إلا حيثُ كان الهوى *** إن البطونَ قادراتُ شِدادِ

¹ أحمد شوقي: أمير الشعراء ونغم اللحن والغناء، د. عبد المجيد الحر، ص: 178.

² الشوقيات، م2، 130/4.

أما ترى الطيرَ على ضُعبِها *** تطوي إلى الحَبِّ مئآت البلاد¹؟

وهكذا يحنُّ شوقي أبناء وطنه على العمل والصبر على المشاق، وبذل الجهد من أجل نهضته وتقدمه، ويفخر برجاله الساعين إلى مجده ورفعته.

ويتوجه شوقي -مرة أخرى- إلى شعبه بحكاياته وحكمه، فيعيب عليه رضاه بدل العبودية ويحرضه على التمرد على قيود المستعمر، والتخلص من أسرته حتى ولو كان ينعم فيه بحياة رغيدة، وقد رمز إلى ذلك بحكايتيه: «الغزال والكلب» و«الحمار والجمل».

ففي الحكاية الأولى يفاجئنا بغزال يقبل بحياة الأسر لا لسبب سوى أنه يحظى بمعاملة حسنة من طرف مولاه وذلك على الرغم مما هو معروف عن هذا الحيوان من عيش التحرر والانطلاق، فيأتي الكلب --وهو رمز للعبودية في هذه القصة- وفي نفسه ترحة وملال فيسأله عن حقيقة الناس بحكم أنه أقرب المقربين إليهم، فيجيبه ملخصاً حقيقتهم في قوله:

إنما هم جحدٌ وغشٌّ وبُغضٌ *** وأداةٌ وغيبَةٌ وانتِحال²

ثم ينصحه بالألا يغتر بما يلقاه من مولاه من حسن المعاملة، وينبهه إلى أنه إنما يهتم به ما دام أنه سليم معافى، فإن أصابه مرض قطعه إرباً إرباً، ويحثه على ترك أسره والانطلاق في البراري حيث الحرية والعيش الهنيء الحال إذ يقول له:

لا يغرِّتْكَ يا أحمَا البِيدِ مِنْ مــــو *** لآك ذآك القبولُ والإقبآل

أنت في الأسرِ مَا سلمتَ فَإِنْ تــــمَّ *** رضٌ تُقَطِّعُ مِنْ جِسْمِكَ الأوصآل

فآطلبُ البِيدَ، وارضِ بِالعُشْبِ قُوتاً *** فهُنَاك العيشُ الهنيءُ الحآلال³

أنا لولا العظامُ وهَيَّ حــــيآاتي *** لم تطبُّ لي مع ابنِ آدمَ حآال⁴

ويبرر له الكلب قبوله بعبودية الإنسان بارتباطه بالعظام التي يجود بها عليه في بعض الأحيان حيث يقول:

¹ م.س. م. 2، 98/4.

² م.س. م. 2، 112/4.

³ م.س. م. 2، 112/4.

⁴ م.س. م. 2، 112/4.

أنا لولا العظام وَهَي حَيَاتِي *** لم تَطِبْ لي مع ابن آدمَ حَال¹

بيد أن هذا التبرير الذي يقدمه شوقي على لسان الكلب يبدو لنا غير مقبول، لأن تلك العظام التي يدعي الكلب أنها حياته وأنها هي التي تسوغ بقاءه في أسر الإنسان يمكن له أن يبحث عنها ويجدها وهو حر طليق، لا وهو مستكين لهوان القيد في سبيل عظام نخرة لا تعوده إلا على الخمول والكسل والاتكالية والعبودية، وهكذا أظهر لنا شوقي شخصية الكلب متناقضة تنهى عن خلق وتأتي بمثله، وقد يرمز بذلك إلى فئة من الناس التي تقول ما لا تفعل، فئة «براغماتية» توهم الشعب أنه مع حريته، ولكنها في عمق الأمر مع الاستعمار لأغراض نفعية تقف خلف ادعاءاتها الكاذبة.

وفي القصة الثانية، يؤكد لنا شوقي أن الإنسان خلق ليعيش حرا طليقا لا مقيدا ولكن قد يعتاد على الأسر حتى إذا تركه اشتاق إليه، ورجع إليه كما حدث تماما لذلك الحمار وهو رمز للعبودية- حيث فر هو والجمل من الرق لاستعادة حريتهما، ولكن بعد ليلة من المسير تذكر الحمار أنه نسي مقوده في أسره، فقرر العودة إليه، فكان من الجمل أن سخر من بلادته قائلا:

فقال سرُّ والزِمُّ أذاك الوتدَا *** فَإِنَّمَا خُلِقْتَ كَي تُقَيِّدَا²

والحكمة التي يمكن استجلاؤها إذن من هذه الحكاية هي أنه من شَبَّ على شيء شاب عليه كما يقال وأن الطبع يغلب التطبع.

والحرية عند شوقي لا تنال بالفرقة والتشردم بل بالاتحاد، ولهذا نجده يدعو شعبه إلى التكتل والاتحاد لأن فيهما القوة، وذلك من خلال حكايته «أمة الأرناب والفيل» حيث استطاعت أمة الأرناب أن تقضي على الفيل -وهو رمز للمستعمر- اللامبالي بالمصائب التي نزلت بها من ظلمه وذلك باجتماعها في حفر هوة له، يقول شوقي في حكمة الاتحاد واجتماع الرأي على لسان أحد الأرناب:

اجتمعُوا فالاجتماعُ قُوَّةٌ *** ثم احفروا على الطَّرِيقِ هُوَّة³

ومن الآفات الأخلاقية والاجتماعية التي تعالجها حكم شوقي أيضا الحسد وذلك في حكايته «الكلب والبيبغاء» حيث يبين لنا الشاعر في هذه الحكاية الرمزية أن الحسد يدفع صاحبه إلى

¹ م.س. م. 2، 112/4.

² م.س. م. 2، 133/4.

³ م.س. م. 2، 107/4.

إحاق الضرر بالمحسود لإزالة النعمة التي يفضل بها على الحاسد، كما حدث لذلك الكلب الذي حسد الببغاء على رفعة مكانتها عند مولاهما وذلك لجمال صوتها في حين تضاءلت هو قيمته عند صاحبه مما جعله يفكر في الانتقام منها، فالتجأ إلى حيلة وهي أنه غرر بها حين أثنى على صوتها ثم طلب منها أن تسمعه شيئاً من صوتها الجميل، حتى إذا أخرجت لسانها من طيشها وغرورها عضه بنابه فشان صوتها ثم مضى يقول مبيناً أن الحسد هو الذي دفعه إلى القيام بفعلته تلك:

ومالها عندي من ثأرٍ يُعَدُّ *** غير الذي سَمَّوهُ قِذَا الحَسَدُ¹

كما يتناول شوقي آفة الكذب وذلك في حكايته «القرد في السفينة»، ويحذرنا من خطورته حيث يقود صاحبه إلى الهلاك وخصوصاً إذا كثّر كذبه لأنه في هذه الحال حتى ولو صدق مرة واحدة في كلامه، فإنه يتهم في صدقه كما جرى لذلك القرد في سفينة نوح عليه السلام حيث كذب على سيدنا نوح عليه السلام أكثر من مرة، في المرة الأولى زعم مستغيثاً أن موجة عالية تجد في هلاكه، فبعث إليه سيدنا نوح النسر لإنقاذه ولكنها وجدته لاهياً.

وفي المرة الثانية ادعى أن المركب قد ثقبتة الأمواج فاتضح للنبي أنه يكذب فقط، وذات مرة بينما كان يلعب سقط في الماء فصاح يطلب العون فلم يصدقه أحد وقيل: هذه كذبة من كذباته، فكانت النتيجة أن لقي مغبة كذبه، يقول شوقي مستخلصاً الحكمة من هذه الواقعة:

قد قال في هذا المقام من سبق *** أكذب ما يُلْفَى الكَذوبُ إن صدَقْ

من كان ممثلاً بَدَاءِ الكذب *** لا يتركُ الله ولا يُعْضِي نَبِي!2

كما تحوي حكم شوقي قيماً أخلاقية واجتماعية أخرى ويمكن عرضها على الشكل التالي:

- الإحسان ورد الجميل (الكلب والحمامة)؛
- سوء الظن (الدب في السفينة)؛
- فضيلة التأني وعدم التسرع (القبرة وابنها)؛
- مزية السكوت (اليمامة والصيد) (الشاة والغراب)؛
- الصبر (النعجتان)؛

¹ م.س. م. 2، 132/4.

² م.س. م. 2، 121/4.

- الخيانة (سليمان عليه السلام والحمامة)؛
- آفة المتدخل فيما لا يعنيه (القرد والفيل)؛
- آفة العناد والاستهتار بالإرشاد (الضبي والعقد والخزير).

ولا يكتفي شوقي في حكايته بمعالجة القيم الأخلاقية والاجتماعية فقط، بل يتعدى ذلك إلى تقديم المثل السياسي في كثير من حكمه «لتوعية أهل الحكم من الظلم، والمواطنين من الاستسلام للحكام، وهؤلاء جميعاً من تسليم بلادهم لمحتل يتركونه وشأنه»¹.

وهكذا، يتوجه شوقي من خلال حكاياته إلى الحاكم لتوعيته بالالتفات إلى وزيره الناصح لأن أي إهمال لهذا الجانب تكون عواقبه وخيمة، كما حدث لذلك الملك في حكايته "ملك الغريبان وندور الخادم" حيث تغاضى عن نصائح وزيره "ندور" لمواجهة الخطر المحدق لمملكته، فكانت النتيجة أن جاءه هذا الخطر وقضى عليه، وكانت اللازمة التي يقولها الملك في الحكاية، كلما نهى الوزير "ندور" إلى الخطر:

أنا لا أنظرُ في هذي الأمور أنا لا أبصر تحتي يأنُدور²

كما يحذر شوقي أيضاً أهل الحكم من الظلم والتعسف، ويدعوهم إلى ترك الحرية لأهل العلم والزعماء الوطنيين للنطق بالحق، وذلك من خلال حكايته، "البلابل التي رباها البوم" حيث أعطيت البلابل للبوم لكي تشرف على تربيتها، فأخرست فيها النطق وحرمتها من نعمة الكلام، قال شوقي على لسان الهدهد وهو يعتذر عنها لسيدنا سليمان:

بلابلُ الله لم تخرس ولا وُلدت خرساً، ولكنَّ بومَ الشَّؤم رباها³

ويهيب شوقي بالحكام أيضاً إلى السهر على رعاياهم لكسب حيمهم وعطفهم، كما هو الحال في قصة "النعجة وأولادها" حيث يبرز لنا حذب النعجة على وليدها وعلى سائر الغنم حين نام الراعي فلم تنم، واستطاعت أن ترى الذئب الآتي، وتنهض الراعي من رقادها ليطرده الذئب، فتقول النعجة:

إذا الرعاةُ على أغنامها سهرتُ سهرتُ من حبِّ أطفالي على الراعي

¹- أحمد شوقي: أمير الشعراء ونغم اللحن والغناء، د. عبد المجيد الحر، ص: 174.

²- الشوقيات، 101/4.

³- م. س، 94/4.

وهكذا، تحفل حكم شوقي بكثير من العظات والإرشادات، وقد جعل حكاياته على ألسنة الحيوانات معادلا موضوعيا للأوضاع التي تمر بها بلاده "فما هي إلا رموز استخدمها الشاعر ليعبر بها بطريقة غير مباشرة عن الوضع في بلاده، وتلتزم الدفاع عن قضايا تعيشها البلاد سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

ويشكل المستعمر النواة المحورية التي تدور حولها كثير من حكاياته، فهو غالبا ما يرمز إليه بشكل أو بآخر...ولعل هذا ما يفسر تكرار المغزى الواحد في أكثر من حكاية، وهذه مسألة إذا كان بعض الباحثين يؤاخذونه عليها51، فإننا لا نرى ضيرا في ذلك التكرار مادام أنه يتوخى منه التأكيد على أهمية العبرة المعالجة وتعميق الانتباه إلى خطورتها...

الخاتمة:

بقي أن نشير في الختام إلى أن شوقي عرف كيف يوظف حكمه في شعره، إذ لم يقحمها فيه بشكل اعتسافي، وإنما جاءت منصهرة ومتولدة بشكل طبيعي. وصفوة القول، هذه هي الخصائص المضمونية لحكايات شوقي على ألسنة الحيوانات والتي فتح بها الباب على مصراعيه أمام الكتابة الشعرية للأطفال، وستكون لنا وقفة عند الخصائص الفنية لهذه الحكايات في ما يستقبل من مقالات إن شاء الله، به نستعين، فنعم المولى ونعم النصير.

لائحة المصادر والمراجع

- أبو حاتم الرازي: الزينة، القاهرة، 1956 م 44/1.
- ابن عبد ربه: العقد الفريد القاهرة، 1973م.
- أحمد سليمان الأحمد: الشعر الحديث بين التقليد والتجديد، الدار العربية للكتاب.
- أحمد شوقي: الشوقيات، مكتبة التريبة، بيروت المجلد الأول والثاني.
- أحمد شوقي: أسواق الذهب، مطبعة الهلال بمصر، 1932م.
- جبرار جنيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم، عمر حلى، عبد الجليل الأزدي، 1996م.
- حازم القرطاجي: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981م.
- سعاد عبد الوهاب: إسلاميات أحمد شوقي: دراسة نقدية، الناشر: مكتبة مدبولي، ط: 1، 1987م.
- شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، دار المعارف، مصر.
- عباس حسن: المتنبي وشوقي وإمارة الشعر: دراسة ونقد وموازنة، ط3، دار المعارف بمصر.
- عبد المجيد الحر: أحمد شوقي أمير الشعراء ونغم اللحن والغناء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ، 1992م.
- علي الحديدي: في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية.
- فوزي عطوي: أحمد شوقي أمير الشعراء دراسة ونصوص، دار، صعب، بيروت، ط:3/1978م.
- ليلى حسن سعد الدين: كليلة ودمنة في الادب العربي، طبعة عمان، بدون تاريخ.

- محمد صبري: الشوقيات المجهولة، دار المسيرة، بيروت، الجزء الأول، 1903.1888م.
- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.
- محمد مندور: الشعر المصري بعد شوقي، دار نهضة مصر.
- محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، ط1981م.
- محمود حامد شوكت: مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر، رجاء محمد عيد، دار الفكر العربي.
- محمود علي مكي: الأندلس في شعر شوقي ونثره، مجلة الفصول، ع1/السفينة، 1982، ج1، ص:204.
- 21. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب، ط باريس، ج 1، 1871 م.
- 22. الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، 1955 م.